الفصل الرابع

تاريخ قبيلة الخزرج
في عهد الخلفاء الراشدين

١- **قبيلة الخزرج في عهد أبي بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- **قبيلة الخزرج في عهد عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- **قبيلة الخزرج في عهد عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- **قبيلة الخزرج في عهد عليّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١- قبيلة الخزرج في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حادث السقيفة:

انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقد آثر أن يُفَوِّض الأمر للأمة، في كل ما يتعلق بتفاصيل نظام الحكم الإسلامي، أو تحديد نواحيه الشكلية، وكان رسول الله ﷺ قد أمضى عمره يبث في صحابته علمًا، وترفعًا عن دنيا، وحبًّا لصالح المسلمين؛ كما كانت المبادئ الخلقية قد تمكنت من نفوس الصحابة واستقرت، وكان رسول الله ﷺ قد أُمِرَ - وهو الذي يأتيه الوحي من السماء[١] - بأن يشاورهم في الأمر، فقد قال له الله - عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٢]، فكان يشاورهم في مكايد الحرب وعند لقاء العدو[٣]؛ وقد علق سفيان بن عيينة[٤] على هذه الآية قائلًا: "إنما أُمِر بذلك ليقتدِي به غيره في المشاورة، ويصير سُنة في أمته"[٥].

وبعد أن عرك الصحابة الشورى، وعركتهم في حياة نبيهم ﷺ، نزل في القرآن ثناء الله - عز وجل - لأهل الإيمان؛ فقال - تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٦]، وقال القرطبي: "هم الأنصار بالمدينة"، وحددهم دون المهاجرين[٧]، وقد روى الإمام

---

(١) الطبري: تفسير الطبري، ج٧، ص ٣٤٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٧، ص ٣٤٣؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ١٤٩.

(٤) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي، الإمام الكبير وحافظ العصر، (ت ١٩٨هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٤٥٤.

(٥) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج٩، ص ٦٨.

(٦) الشورى: ٣٨.

(٧) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، ج١٦، ص ٣٦.

مالك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ قوله: "استرشدوا العاقل ترشدوا[١]".

ونستطيع القول إنَّ المسلمين قد ورثوا عن رسول الله ﷺ دولة، أي: نظامًا سياسيًّا، كما ورثوا - أيضًا - حرية تفكير في شئون هذه الدولة[٢].

ولقد كان خبر انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى خبرًا دُهش له المسلمون، وطاشت له عقولهم، حتى إن عمر بن الخطاب لم يصدقه، ووقف يهدد الناقلين للخبر ويتوعَّدهم، ولقد قالت السيدة عائشة: "وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية؛ لفقد نبيهم ﷺ"[٣]، وقد استطاع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يخرج بالمسلمين إلى أعتاب الوعي والتصديق بأن نبيهم قد مات، وذلك بقوله: "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات"، وعندما أتبع حديثه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٤]، تأكد المسلمون من الخبر، وبدأ التعامل من هذا المنطلق الجديد.

ولمَّا كانت إقامة الخلافة أو الإمامة "من أتم مصالح المسلمين، وأعظم مقاصد الدين"[٥]؛ فقد اتجه تفكير المسلمين إلى من يخلف القائد، ويحلل القاضي عبد الجبار الأمر

---

(١) علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهانفوري: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ج٣، ص ٤٠٩.

(٢) محمد ضياء الريس: النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م، ص ٣٤.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٦.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: كتاب المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، ج٣، ص ٥٨١.

قائلًا: "فلقد خلفهم رسول الله ولا أمير عليهم، فخافوا أن يبيتوا وقد فقدوا نبيهم وليس عليهم أمير؛ فلشدة اهتمام هؤلاء بحراسة الإسلام بادروا إلى من يعقدون له"(١).

ولقد بادر أحد الفريقين الرئيسين اللذين كانت تتألف منهما جماعة المسلمين بالمدينة – وهم الأنصار – إلى عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة؛ ليبحثوا فيه أمر من يخلف الرسول ﷺ.

ولقد ساهمت غيبة الرسول بالوفاة في إبراز الطابع الدنيوي للأحداث، كما كان الحوار بين الفريقين حوارًا سياسيًّا وليس دينيًّا؛ ولكنه كان مغلفًا بالود والأخوة التي زرعها رسول الله بين المهاجرين والأنصار.

ولقد بدأ الأمر بأن علم عمر بن الخطاب باجتماع الأنصار في السقيفة، فانطلق إليها مع أبي بكر وأبي عبيدة بن الجراح، فلقيا عويم بن ساعدة(٢) ومعن بن عدي(٣) الأوسيين، فقالا للمهاجرين: "ارجعوا فاقضوا أمركم بينكم"(٤)، فدل ذلك على أنه لم يكن جميع الأنصار يطمحون إلى الخلافة.

---

(١) القاضي أبو الحسن عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، تحقيق: عبد الكريم عثمان، الدار العربية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٢٦٨.

(٢) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية، من بني عمرو بن عوف، بدري، شهد العقبتين في قول الواقدي، وشهد الثانية بلا نزاع، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمر بن الخطاب، وقيل بينه وبين حاطب بن أبي بلتعة، وتوفي في عهد عمر بن الخطاب؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ١٣٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٥٠٣.

(٣) معن بن عدي بن الجد بن العجلان الأنصاري العجلاني، العقبي، البدري، من حلفاء بني مالك بن عوف، من سادة الأنصار، كان يكتب العربية قبل الإسلام، وقد توفي في موقعة اليمامة (١١هـ)، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين زيد بن الخطاب؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٦٥؛ الذهبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٠.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٢؛ البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٦٩.

ولمَّا وصل المهاجرون إلى السقيفة وجدوا الأنصار - أوسًا وخزرجًا - يتناقشون في اختيار سعد بن عبادة[١] خليفة للمسلمين. وتُصَوِّر الروايات السجال والجدال بين المهاجرين والأنصار بأنه كان حادًّا حاميًا، به الكثير من الانفعالات العفوية الشديدة، فتكلم عن الأنصار كل من سعد بن عبادة الساعدي، والحُباب بن المنذر السلمي[٢]، وثابت بن قيس بن شماس الحارثي[٣] - خطيب الرسول، وكاتب الأنصار وخطيبهم[٤]، ولقد أكد من تحدث من الخزرج على فضل الأنصار قائلًا: "إن لكم - يقصد الأنصار -

(١) سعد بن عبادة: كان سيدًا في الأنصار مقدَّمًا وجيهًا، له رياسة وسيادة، يعترف قومه له بها، وكان يكتب ويُحسن العَوْم والرَّمي، فعُدَّ من الكُمَّل في الجاهلية، وكان من أغنياء يثرب ومن أصحاب الأطم فيها، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه، وكان صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وقال عنه رسول الله: "إن سعدًا لغيور، وإني لأغير من سعد، والله أغير منا"، وكان له الكثير من المواقف التي دارت بينه وبين رسول الله ﷺ؛ كان أهمها قوله في غزوة الفتح: "اليوم يوم الملحمة"، كما تلاحى مع سعد بن معاذ دفاعًا عن عبد الله بن أبيّ بن سلول زعيم المنافقين، في حادث الإفك، ولقد كان في قول سعد لرسول الله ﷺ: "إنما أنا امرؤ من قومي"، وذلك حين وزع النبي ﷺ غنائم حنين ولم يعط الأنصار، كان في ذلك دلالة على اعتزازه بقبيلته، وشعوره بأنه سيد هذه القبيلة؛ كما كانت له الكثير من المواقف التي تدل على منتهى الكرم والنجدة، ونصل مما سبق إلى أن سعد بن عبادة بن دُليم كان سيدًا حُقَّ له أن يفكر في تولي أمور الرئاسة. ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥٦٦؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٢٥٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٥٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٤٤١، ٤٤٣؛ الصالحي: سبل الهدى، ج٥، ص ٨٥٨.

(٢) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، يقال له (ذو الرأي)، (ت ٢٠هـ)، ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص٣١٦.

(٣) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، واستشهد يوم اليمامة (١١هـ)، ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٣٠٨، ٣٠٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٣.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٣٦، ١٣٧؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، مكتبة النيل، مصر، ١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م، ص ٢، ٧.

سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام، وكنتم أشد الناس على من يخالف رسوله ﷺ، حتى دانت بأسيافكم العرب"(١).

ثم تحدث أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان أهم ما قاله: "إن ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب نسبًا ودارًا(٢)، وإن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم(٣)". وهكذا وضع أبو بكر كل مسلم أمام واجباته الدينية والسياسية؛ حتى يدرأ(٤) عن الإسلام ويشد عضده في هذه المحنة.

ولقد احتدم الجدال بعدما اقترحت الأنصار: "منا أمير ومنكم أمير"، فرد أبو بكر هذا الاقتراح قائلًا: "منا الأمراء ومنكم الوزراء(٥) "، فقام زيد بن ثابت الخزرجي، فقال: "إن رسول الله من المهاجرين، وكنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار من يقوم مقامه"، فقام الحباب بن المنذر الخزرجي محذرًا الأنصار فقال: "يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم"، ثم قال أبو عبيدة بن الجراح: "يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآوى، فلا تكونوا أول من بدل وغير"(٦).

على أن لابن كثير رواية يعترف فيها سعد بن عبادة بالأمر للمهاجرين؛ حيث قال أبو بكر: "لقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال - وأنت قاعد: قريش ولاة هذا

---

(١) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١، ٢.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٢؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٧٠.

(٣) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي: المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، ج٧، ص ٤٣١.

(٤) **يدرأ:** يمنع أو يُسقِط، قال تعالى: ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ ﴾ [النور:٨]؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٨، ص ٦٠، مادة يدرأ.

(٥) الزهري: المغازي النبوية، ص ١٤١، ١٤٢؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٧٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩٢.

(٦) سليمان بن أحمد بن أيوب: أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبدالمجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣م، ج٥، ص ١١٤؛ المتقي الهندي البرهانفوري: كنز العمال، ج٥، ص ٨٦٤.

الأمر، فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء"[١].

وكان الذي حسم هذا الأمر وقطع النزاع والجدال، أن قيس بن سعد بن عبادة – في رواية – [٢] أو بشير بن سعد[٣] – في روايات أخرى – [٤] قام فقال: "إن محمدًا رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه، وايم الله لا يُراني أنازعهم هذا الأمر أبدًا"[٥]، فاقترح أبو بكر مبايعة عمر أو أبي عبيدة، ولكن عمر أبى إلا أن يتولاها أبو بكر، وكان أول من بايع بشير بن سعد الخزرجي؛ فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد بايعت على الفور، وأقبلت الخزرج على أثر ذلك يبايعون أبا بكر، عدا سعد بن عبادة؛ فقد أصر على موقفه، وظل ممتنعًا عن مبايعة أبي بكر حتى وفاته، فلما تولى عمر الخلافة، رحل سعد إلى الشام، فتوفي هناك[٦].

وقد كان اختيار أبي بكر للخلافة دليلًا على قيام المهاجرين والأنصار بتفعيل نظام الشورى كما تعلموه، حتى إن أبا قحافة سأل ماذا صنع الناس بعد موت رسول الله ﷺ؟، قالوا: أقاموا ابنك مقامه، قال: أفرضيت بنو عبد مناف؟ قالوا: نعم، قال: أفرضيت بنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: ودانت لرجل من تيم؟ قالوا: نعم، قال: لا مانع

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م، ج٥، ص ٢٦٨.

(٢) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١٤.

(٣) بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٠٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩٣؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٤٨٨.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص ١٤.

لما أعطى الله؛ وهكذا تعجب أبو قحافة من رجوع القوم في تولية أبي بكر إلى الدين والإسلام، دون الأحساب والأنساب(١).

هذه هي ملامح اجتماع السقيفة، التي تكاد المصادر السنية تتفق في إيراد تفاصيلها، ومن المهم أن نعرض لبعض الأمور التي نستطيع أن نستقيها من أحداث السقيفة، وهي:

أولًا: أن الخلاف داخل السقيفة كان أول خلاف بين المسلمين عقب وفاة الرسول ﷺ، ويعلق عليه الإمام الأشعري قائلًا: "وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم في الإمامة"(٢)، ولكن هذا الاختلاف كان اختلافًا سياسيًّا محضًا، ولم يكن اختلافًا دينيًّا(٣)، وكان سببه نظر الأنصار إلى الخلافة من زاوية محدودة، مرتبطة بظروف المجتمع المدني القبلية، أما المهاجرون فنظروا نظرة أوسع إلى الدولة، وما قد يترتب على خروج السلطة من قريش التي يمكن أن يرضى العرب بحكمها، إلى الأنصار التي لن تجتمع العرب تحت رايتهم إذا ما سيطروا على الخلافة(٤).

وقد أثبتت الأيام صحة رأي أبي بكر بشأن قريش، فقد رُوي أن طلحة النَّمرِيّ - وكان من كبار أتباع مسيلمة باليمامة - قال لمسيلمة الكذاب: "أشهد أنك لكاذب، وأن محمدًا لصادق؛ ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"(٥)، فإذا كانت القبائل العربية قد رفض بعضها الانضواء تحت السيطرة القرشية باختيار أبي بكر، على الرغم من أنهم كانوا أمراء تقليديين في نظر أكثر العرب؛ فكيف لو كان الخليفة من الخزرج؟!

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٧١، ٢٧٢؛ عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، وعيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م، ج١، ص ٢١٩.

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، ج١، ص ٣٩.

(٣) مصطفى حلمي: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ص ٣٨.

(٤) أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، بدون تاريخ، ص ٤٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٠؛ تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١٤، ص ٥٢٩.

ثانيًا: بعد أن بايع بشير بن سعد، قال أسيد بن حُضير[١] - وكان من نقباء الأوس: "والله لإن وليتها الخزرج مرة ما زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم نصيبًا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر"، فلما بايعوه انكسر لسعد والخزرج ما أجمعوا عليه[٢]، بعد أن كرهت الأوس إمارة الخزرج[٣]؛ وهكذا فإن العصبية القبلية وخوف الأوس من أن يتولاها أحد الخزرج فيفخر عليهم، كانت سببًا في فشل الخزرج في تولية سعد، فإذا أضفنا إلى ذلك موقف عويم بن ساعدة ومعن بن عدي الأوسيين، ورغبتهما في أن يقضي المهاجرون أمرهم بينهم، دلنا ذلك على أن الأوس لم يكن منهم طامع أو متطلع لمنصب الخليفة؛ فأدى ذلك إلى ضعف موقف الأنصار في طلبهم لمنصب الخلافة.

ثالثًا: اختلف كثير من المؤرخين في تصوير ما حدث في السقيفة، فبعضهم يصوره على أنه خلاف عاصف، كاد يودي بدولة الرسول ﷺ الناشئة، فنجد بروكلمان يقول: "حتى إذا لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، نشأت في المدينة منازعات حزبية، كادت تهدد كيان العرب السياسي الجديد بالانحلال التام"[٤]، في حين قال جرجي زيدان: "واشتد الجدال بين المهاجرين والأنصار حتى كاد يفضي إلى النزاع"[٥]، كما ينحى الدكتور عبد العزيز سالم منحى بروكلمان، فيقول: "ولم يتم اختيار أبي بكر إلا بعد نزاع كبير نشب بين المهاجرين والأنصار، كاد يفتت وحدة المسلمين"[٦]، ويُرجع بروكلمان ما حدث من مطالبة بعض الخزرج بتولي زمام الأمور إلى رغبة الأنصار في التحرر؛ فيقول: "كان الأنصار العريقون بالمدينة يتوقون إلى التحرر من سلطان الأغلبية المتمثلة في المهاجرين؛

---

(١) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، من الأوس، آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، (ت ٢٠هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٣٤٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩٤.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٤٨٨.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١.

(٥) تاريخ التمدن الإسلامي، مجلد١، ص ٥٨.

(٦) تاريخ الدولة العربية، ١٥٤.

ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين مرَّة أخرى"[١]، ويوحي إلينا رأي بروكلمان هذا وكأن هناك معارضة كانت تسعى للاستقلال بالمدينة، وهذا غير صحيح.

بينما هناك آراء أخرى تصور الأمر على أنه تم في سهولة ويسر؛ فقد قال ابن كثير: "كانت بيعة يوم السقيفة سريعة من غير نظر ولا روية؛ لأن أفضلية أبي بكر على من عداه كانت ظاهرة جلية عند الصحابة"[٢]، ويقول الدكتور الريس: "وإنما يكفي أن نقرر أن مساجلات الرأي دارت في هذا الاجتماع بحرية وفي صراحة"[٣]، ويرى المستشرق ماكدونالد: "أن اجتماع السقيفة كان يُذَكِّر - إلى حد بعيد - بمؤتمر سياسي دارت فيه المناقشات وفق الأساليب الحديثة[٤]".

ويؤيد الباحث وجهة النظر الثانية، ودليله لذلك أن المناقشات التي دارت داخل السقيفة اتسمت بطابع فريد في نوعه، فلم نجد قبلًا فصيلًا سياسيًّا يعدد مزايا وأفضال الطرف الآخر قبل أن يعرض لوجهة نظره، كما نجد أنه كان للفصيل المعارض من الأخلاق ما يردعه عن التمادي في غيه، والنزول على الحق إذا وجد فيه صالح المسلمين.

لقد علَّمنا المسلمون الأوائل كيفية الاختلاف السياسي دون الجور على الصالح العام، أو الدفاع عن وجهة النظر مهما كانت النتائج، وتَقَبُّل ما اختارته الشورى حتى لو كان على غير هوى بعض الأطراف، فهذا سعد بن عبادة، على الرغم من اعتراضه على اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين؛ إلا أنه لم يحول اعتراضه إلى تصرف فعلي يقف به ضد هذا الاختيار الذي يرفضه، بل ظل رافضًا حتى مات، دون افتعال أي مشكلات، ما تُرك ورأيه.

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٨٣.

(٢) البداية والنهاية، ج١، ص ١٢١.

(٣) النظريات السياسية الإسلامية، ص ٣٩.

(٤) ورد هذا الرأي في كتابي: محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، ص ٥٤؛ مصطفى حلمي: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص ٣٩.

رابعًا: كادت المنظومة القبلية في المدينة أن تتوارى وتختفي بعد هجرة الرسول ﷺ إليها وتتابع نزول القرآن بها، وبعد أن هذبها الإسلام، حتى إذا توفي رسول الله ﷺ لاحظنا أن منظومة القبيلة التي عاشت بها المدينة من قبل تطل برأسها مرة أخرى، وكان أكثر ما ظهرت في اجتماع السقيفة، وفي تحليل الأفراد لنتائج هذا الاجتماع بالرفض أو الموافقة، ولكن لم يكن الجدال في السقيفة سجالًا بين فرق متناحرة مختلفة المصالح والتوجهات، وإنما كان بين القبائل المسلمة.

ولم تكن هذه المعايير القبلية حاضرة بين صفوف الأنصار فقط، أو بينهم وبين المهاجرين فحسب؛ بل كانت فاعلة - أيضًا - في صفوف القرشيين أنفسهم، فتذكر الروايات رفض خالد بن سعيد بن العاص القرشي فكرة اختيار أبي بكر، وكذلك أبو سفيان(١)، بعد أن علما بما أسفر عنه اجتماع السقيفة(٢)، ولكن فضائل أبي بكر، واختيار الرسول ﷺ له في إمامة الصلاة، كانت سببًا في إجماع المسلمين بالموافقة على توليه شئون الخلافة.

ولقد كانت براعة المسلمين في تفعيل النصوص التي حفظها الصحابة عن رسول الله ﷺ سببًا في أن وقى الله المسلمين الفتنة، فنجد بشير بن سعد يُقْسِم، فيقول: "وايم الله لا يُراني أنازعهم هذا الأمر أبدًا"، ويقول عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء على: "أن لا ننازع الأمر أهله"(٣).

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش، وقائدهم يوم أحد، ويوم الخندق، وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية، (ت - ٣١هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ١٠٥.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٧١، ٢٧٢؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١، ص ٢٢٢.

(٣) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٣٧، ص ٣٧٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣١٧.

ولقد احتج المهاجرون بوصية رسول الله بالأنصار حين قال: "أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي"(١)، فقالوا: "لو كانت الإمارة لكم لما كانت الوصية بكم"(٢)، كما احتج المهاجرون بحديث الرسول ﷺ: "قريش ولاة هذا الأمر"(٣). وقد انتهى الأمر بانتصار وجهة نظر المهاجرين، بعد أن عدد أفراد السقيفة مميزات أبي بكر، وكان أهمها قولهم: "اختاره رسول الله ﷺ لديننا فاخترناه لدنيانا"(٤).

خامسًا: اتفق أهل السنة على أن نصب الخليفة فرض كفاية، وأن المطالب به أهل الحل والعقد في الأمة، ووافقهم المعتزلة والخوارج على أن الإمامة تنعقد ببيعة أهل الحل والعقد(٥)، الذين ينعقد بهم الإجماع(٦)، فمن هم أهل الحل والعقد في تلك الفترة؟ لا شك أنهم المهاجرون والأنصار، الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(٧).

على أن هناك سؤالًا يطرح نفسه، وهو: هل كان من حق سعد بن عبادة أن يطمع في الخلافة وأن يترشح لها؟ والإجابة: نعم، يحق لكل مسلم أن يترشح للخلافة، ولكن الاعتراض كان على انفراد الأنصار بالاجتماع بجزء من المشهد اليثربي، ولم يشهد هذا الاجتماع جميع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار، الذين ينعقد بهم الإجماع؛ حتى إن هذا التعجل منع بني هاشم من حضور اجتماع السقيفة، مع ما لهم من حق وأهمية، ولكن موافقتهم على ما قرره أهل الحل والعقد باختيار أبي بكر أنهى الأمر.

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٣٥؛ ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٦، ص ٣٩٩.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٦٩؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٣٥٢.

(٣) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ص ١٩٩؛ ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج٥، ص ٢٦٨؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ج٥، ص ٦٣٨.

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج١٢، ص ١٦٥.

(٥) محمد رشيد رضا: الخلافة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ص ١٨.

(٦) القرطبي: تفسير القرطبي، ج٢، ص ٤٦.

(٧) آل عمران: ١٥٩.

سادسًا: علق عمر بن الخطاب على أحداث السقيفة أثناء خلافته بقوله: "إني عَرفت أُناسًا يقولون إن خلافة أبي بكر إنما كانت فلتة[١]، وايم الله إنها كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وإنه لا خلافة إلا عن مشورة[٢]، فمن بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تَغِرَّةَ[٣] أن يقتل[٤]"، وهكذا نرى أن موقف عمر بن الخطاب ممن يبايع لرجل على غير مشورة المسلمين أن يُقْتَل هو ومن بايعه؛ وذلك للخطورة التي قد تؤثر على وحدة المسلمين واجتماعهم.

حروب الردة:

لقد تمخضت عن وفاة الرسول ﷺ أزمة شاملة ذات بعدين، كادت تعصف بأركان الدولة الإسلامية الناشئة، ووصلت إلى حد تهديدها بالفناء، ولقد كان اختيار الخليفة هو البعد الداخلي للأزمة، أما بعدها الخارجي فكانت حروب الردة، وذلك أن بعض القبائل العربية رفضت دفع الزكاة، واعتبرت أن الزكاة ما هي إلا جزية تدفعها لقريش.

كما كانت حروب الردة حنينًا من القبائل العربية للنظام القبلي القديم، القائم على الحرية والاستقلال، فقام عدد من القبائل العربية بخلع سلطان المدينة، وطرد عمال الصدقات؛ مستهدفين من وراء ذلك عدم دفع الزكاة، التي اعتبروها إتاوة تَحُد من استقلالهم، واكتفوا من الإسلام بالصلاة، واتَّبَعُوا عددًا من المتنبئين بدافع العصبية القبلية، والرغبة في منافسة قريش في الرئاسة[٥].

---

(١) وليست الفلتة هنا هي الزلة والخطيئة؛ بل يجب أن تكون محمولة على ما نقل عن أهل اللغة من أن المراد بها: بغتة وفجأة من غير روية ومشاورة، وقد ذكر صاحب العين: أن الفلتة الأمر الذي يقع على غير إحكام. الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٨، ص ١٢٢؛ القاضي عبد الجبار: المغني (جزء في الإمامة)، ج١، ص ٣٣٩.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٦٩؛ ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٧، ص ٤٣١.

(٣) حديث عمر: "لا يعجل الرجل بالبيعة تغرة أن يقتل"، أي لا يَغُرَّن نفسه تغرة بدخوله في البيعة قبل اجتماع الناس في الأمر؛ خوفًا من قتله. الخليل بن أحمد، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٤٦.

(٤) البخاري، المصدر السابق، ج٨، ص ١٦٩؛ ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ج٦، ص ٤٥٤.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٦٤.

ولم تكن حركة الردة في جوهرها حركة دينية بقدر ما كانت - في الواقع - حركة سياسية، أعلت من شأن العصبية القبلية، واتخذت من مبدأ التناطح مع قريش سبيلًا لإعلاء شأن الزعامات المحلية لهذه القبائل؛ غير أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفض مهادنة المرتدين، وقرر أن يحارب من فرَّق بين الصلاة والزكاة، وأن يغزوهم بجيوش المهاجرين والأنصار(١)، فأرسل الجيوش لأنحاء الجزيرة العربية، واختار لها قادة من كبار الصحابة، ولم يقع اختياره على أحد من الأنصار، فقال ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي: "يا معشر قريش أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له، أما والله ما نحن عُميًا عما نرى ولا صُمًّا عما نسمع، ولكن أَمَرَنا رسول الله بالصبر، فنحن نصبر"(٢).

وقام حسان بن ثابت فقال:

يـــا للرجـــال لِخِلْفَـــةِ الأَطْـــوارِ ولِـــما أرادَ القَـــوْمُ بالأَنْـــصارِ

لم يُـــدْخِلُوا منَّـــا رئيـــسًا واحـــدًا يـــا صـــاحِ في نَقْـــضٍ ولا إمْـــرارِ

فعظم على أبي بكر هذا القول، فجعل على الأنصار ثابت بن قيس، وجعل خالد بن الوليد على المهاجرين، ووجههم لقتال طُليحة(٣).

وقد كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في قتال المرتدين، ويتجلى هذا الدور واضحًا في كل من حروب الردة باليمن واليمامة.

حرب الردة باليمن:

كان رسول الله ﷺ قد ولى زياد بن لبيد البياضي الخزرجي(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حضرموت، ثم ضم إليه كِنْدَة، وكان زياد رجلًا حازمًا صليبًا(٥)، واستعمل عمرو بن حزم الخزرجي النجاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة؛ ليفقههم في الدين ويعلمهم

(١) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٧٢.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٥.

(٣) نفسه، ج٢، ص ١٤٥.

(٤) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية، من بني بياضة، وقد توفي في أول خلافة معاوية؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣١٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٩.

القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر للهجرة بعد أن أسلموا، وكتب لعمرو كتابًا فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات[١]، وولى معاذ بن جبل الخزرجي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الجُنْد[٢]، وصير إليه القضاء، وقبض جميع الصدقات باليمن[٣]؛ كما كان معاذ معلمًا يتنقل في عماله ﷺ باليمن وحضرموت[٤].

وكتب رسول الله ﷺ إلى زرعة بن ذي يزن[٥] قائلًا: "أما بعد، فإذا أتاكم رسولي معاذ بن جبل وأصحابه، فاجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية فأبلغوه ذلك؛ فإن أمير رسلي معاذ، وهو من صالحي من قِبَلي"[٦].

ولقد أقر أبو بكر بعد وفاة الرسول ﷺ زياد بن لبيد على حضرموت، ثم كتب إليه بولاية كندة والصدف[٧]، وكتب أبو بكر إلى زياد في قتال من ارتد باليمن ومنع الزكاة، فغزا ملوك كندة، وسبى النَّعم وسبايا كثيرة، كما ساعد زياد والي صنعاء المهاجر بن أمية ضد الأسود العنسي، أحد المتنبئين باليمن[٨].

أحداث الردة شرق الجزيرة العربية:

كانت العصبية القبلية سببًا في خروج الكثير من القبائل على سلطان المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، فاستغلظ أمر طليحة الأسدي، واجتمع عليه عوام طيئ، وأسد، وارتدت غطفان تبعًا لعيينة بن حصن، بعد أن قال: "نبي من الحليفين - يعني أسد وغطفان -

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٩١؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٩٣.

(٢) **الجُنْد:** من أعمال اليمن، وفيها ثلاثة وثلاثون منبرًا قديمة، وبها مسجد بناه معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٩٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٩.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٩٤.

(٥) زرعة بن سيف بن ذي يزن، من سادات حمير باليمن، وكان قد أسلم وراسل الرسول ﷺ. ابن عبد البر: المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٣١٧.

(٦) أبوعبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج١، ص ٣٠٦؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٤٦٥، ٤٦٦.

(٧) البلاذري: المصدر السابق، ص ٩٣.

(٨) اليعقوبي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٩.

أحب إلينا من قريش، وقد مات محمد وطليحة حي"[١]، فعقد أبو بكر لخالد بن الوليد على الجيش، وجعل ثابت بن قيس الخزرجي على الأنصار، ووجهه إلى طليحة، وأمره أن يصمد له، فسار خالد واقتتلوا قتالًا شديدًا، وهزم الله طليحة وفر إلى الشام[٢].

ولقد وجه أبو بكر خالد بن الوليد لقتال مسيلمة الكذاب، وجعل على الأنصار ثابت ابن قيس بن شماس الخزرجي - خطيب الرسول - (ت ١١هـ)، ولما بلغ مسيلمة دنو خالد خرج وضرب عسكره بعقرباء[٣]، ثم تقابل الجيشان في اليمامة، واشتد القتال، وكانت حربًا لم يلق المسلمون حربًا مثلها قط، وانهزم المسلمون، وخلص بنو حنيفة قوم مسيلمة إلى فسطاط خالد فأزالوه[٤]، قال أنس بن مالك الخزرجي (ت ٩٣هـ - على الرأي الراجح): "لما انكشف الناس يوم اليمامة، وجدت ثابت بن قيس يتحنط ويلبس أكفانه، ثم يقول: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله، اللّٰهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني الكفار - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - وقاتل حتى قتل"[٥].

وقاتل البراء بن مالك الخزرجي النجاري (ت ٢٠هـ)، وأبو دجانة الخزرجي الساعدي (ت ١١هـ) قتالًا شديدًا، وتغير ميزان المعركة، وهزمت بنو حنيفة، ولجأت إلى حديقة لها، فقال البراء بن مالك: "يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة"، فلما ألقوه قاتل على الباب حتى فتحه للمسلمين، وخرج وبه بضع وثمانون جراحة؛ ما بين رمية بسهم وضربة بسيف، فأقام خالد عليه شهرًا يداويه[٦].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٠٥.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ١٠٢.

(٣) **عقرباء:** منزل من أرض اليمامة، وهو لقوم من بني عامر بن ربيعة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٨٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢١.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٤، ص ٣٤٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ١٢٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٤٥٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢٠٤.

(٦) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٩٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٤.

وقتل مسيلمة في الحديقة، وقد قال بعض الأنصار إن الذي قتله هو عبد الله بن زيد (ت ٣٢هـ) [١]، أحد بني الحارث بن الخزرج، وهو الذي أُرِيَ الأذان، وبعضهم يقول قتله أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة ثم استشهد[٢]، وهناك من يقول قتله عبد الله بن زيد (ت ٦٣هـ)، أخو حبيب بن زيد من بني مبذول ثم من بني النجار، وكان مسيلمة قد قطع يدي حبيب ورجليه، وهناك من يقول قتله وَحْشِي بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، وعلى الأرجح أنهم جميعًا اشتركوا في قتله، ولكن وَحْشِيًّا هو الذي أجهز عليه[٣].

وقد استشهد من الأنصار في موقعة اليمامة (١١هـ) ما ينيف على الثلاثمائة وستين[٤]، وقيل إن هذا العدد من المهاجرين والأنصار، وقد قتل من الخزرج ما لا نستطيع إحصاءهم، منهم من بني الحارث بن الخزرج: ثابت بن قيس خطيب الرسول ﷺ، وبشر بن عبد الله الأنصاري، ومن بني الحُبْلَى: عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول، ومن بني سالم: ثابت بن هزال وإياس بن ودقة، وهما بدريان[٥].

وقتل من بني ساعدة في موقعة اليمامة (١١هـ): أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة، شهد بدرًا وأُحُدا، وكان أحد الشجعان، وأسعد بن يربوع[٦]، وسعد بن جارية[٧]، ومن بني سلمة:

---

(١) عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة، شهد بدرًا، وهو الذي أُرِيَ الأذان. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٣٧٦.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢١.

(٤) عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٥٠٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٩٦.

(٦) أسعد بن يربوع الأنصاري الساعدي، قتل يوم اليمامة شهيدًا (١١هـ)؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٢٠٨.

(٧) سعد بن جارية بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج، شهد أُحدًا وما بعدها، وقتل باليمامة (١١هـ)؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣، ص ٧٣؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢٥.

عقبة بن عامر بن نابي[١]، شهد العقبة وبدرًا، وحضر المشاهد كلها، ومن بني مالك بن النجار: عمارة بن حزم[٢]، شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد، ويزيد بن ثابت بن الضحاك[٣]، وفروة بن النعمان[٤]، ومن بني زريق: عائذ بن ماعص الزرقي[٥].

وقد اختلف المؤرخون في عدد من استشهد في موقعة اليمامة، فأقل ما ذكروا سبعمائة، وأكثر ما ذُكِرَ في ذلك ألف وسبعمائة، وقال بعضهم إن عدتهم ألف ومائتان[٦].

كما استشهد في اليمامة عدد كبير من القُراء، حتى قال عمر: "إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يذهب قرآن كثير، وأرى أن نجمع القرآن[٧]"، فأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت، فقال أبو بكر: يا زيد بن ثابت، إنك غلام شاب عاقل لا

(١) عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد العقبة الأولى، وبدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد، واستشهد باليمامة (١١هـ). ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٥١.

(٢) عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، كان من السبعين، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد، وكانت معه راية بني مالك بن النجار في غزوة الفتح، وقتل باليمامة شهيدًا (١١هـ)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤، ص ١٣٠.

(٣) يزيد بن ثابت زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار، شهد بدرًا، وقيل: بل شهد أحدًا، رُمي بسهم يوم اليمامة فمات في الطريق راجعًا؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٦.

(٤) فروة بن النعمان بن الحارث بن النعمان بن يساف الأنصاري الخزرجي، من بني مالك بن النجار، قتل يوم اليمامة شهيدًا (ت ١١هـ)، وكان قد شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣.

(٥) عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، الأنصاري الخزرجي ثم الزرقي، شهد بدرًا، وقتل عائذ يوم اليمامة شهيدًا، وقيل: إنه استشهد يوم بئر معونة؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١١٤، ١١٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٥، ١٢٦؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨١.

(٦) البلاذري: المصدر السابق، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٧) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ٧١؛ محمد بن إسحاق النديم: الفهرست، ج١، ص ٢٧.

نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[١]، قال زيد: "فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن[٢]، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة بن ثابت الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة زوج الرسول ﷺ[٤].

***

(١) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ص ٢٢٤؛ محمد بن إسحاق النديم، المصدر السابق، ج١، ص ٢٧.

(٢) أحمد بن حنبل، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٨.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٤، ص ٢٤٤؛ الطبراني: المعجم الكبير، ج٥، ص ١٤٦.

٢- قبيلة الخزرج في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شعر أبو بكر الصديق بدنو أجله، فأراد أن يجنب المسلمين تكرار ما حدث في السقيفة، فاختار عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين، بعد أن استشار كبار الصحابة، وقد كان للصحابة الخزرجيين في عهد عمر دور اضطلعوا به، وأدوه على أحسن الوجوه، ولم يكن هذا الدور سياسيًّا فقط؛ بل كان علميًّا أيضًا؛ فهذا أبيّ بن كعب النجاري سيد القراء، روى عنه عمر، وكان يهابه ويستفتيه(١)، ويسأله في النوازل، ويتحاكم إليه في المعضلات(٢)، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: "أقرأ أمتي لكتاب الله أبيّ بن كعب"(٣)، فجعله عمر إمامًا للمسلمين عندما جمع الناس على صلاة القيام في رمضان(٤).

كما استخلف عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على المدينة ثلاث مرات؛ في الحجتين، وفي خروجه للشام، وقد قال زيد: "كان عمر يستخلفني على المدينة، فوالله ما رجع من مغيب قط إلا قطع لي حديقة من نخل"(٥)، كما استعمله عمر على القضاء وفرض له رزقا(٦). قال الإمام الزهري: "كان زيد بن ثابت مترئسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلي"، وقال ابن المسيب: "لا أعلم لزيد بن ثابت قولًا لا يُعمل به، مجمع عليه في الشرق والغرب أو يَعمل به أهل مصر"(٧).

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج١، ص ١٨.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٦.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٤٩.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٥٩.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣١٣.

(٦) نفسه، ج٢، ص ٣١٠؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٥٣، ١٥٤؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٤٩.

(٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ٣١٠، ٣١١.

وكان يزيد بن أبي سفيان قد كتب إلى عمر قائلًا: "قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم"، فأرسل عمر ثلاثة من الخزرج، معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت (ت ٣٤هـ)، وعويمر أبو الدرداء (ت ٣٢هـ)، فوزعهم يزيد على أنحاء الشام[١]؛ كما كان عمر يقدر رأي معاذ بن جبل ويأخذ به، فلما أراد عمر قسمة أرض السواد التي فتحت عنوة بين المسلمين، قال له معاذ بن جبل: "والله لئن قسمتها ليكونن ما نكره، ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم، ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد، ثم يأتي بعدهم قوم فلا يجدون شيئًا، فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم"، فصار عمر إلى قول معاذ، ورفض أن يوزع أرض السواد المفتوحة عنوة[٢]، وجعلها وقفًا على المسلمين، وكان أبو عبيدة بن الجراح قد استعمل معاذ بن جبل عندما كان واليًا على الشام على ميمنة الجيش في فتح الأردن[٣]، واستخلفه أبو عبيدة لمَّا احتضر، فمات من عامه ذلك في طاعون عمواس سنة ثمانية عشرة هجرية[٤].

وقد استعان عمر بالصحابة الخزرجيين، فبعث مسلمة بن مخلد بن الصامت عاملًا على صدقات بني فزارة[٥]، وولي عويمر أبو الدرداء على دمشق[٦]، ثم ولَّى أبو عبيدة بن الجراح والي الشام عبادة بن الصامت على حمص، فأتى اللاذقية، فقاتل أهلها وفتحها عنوة ودخل حصنها، وبنى بها مسجدًا جامعًا، ثم فتح مدينة تسمى بَلْدَة[٧]، وتوجه إلى أَنْطَرْطُوس وجَبَلة – من مدن الشام – ففتحها، ولما ولي معاوية الشام، جعل أبا الدرداء

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٨.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج١، ص ١٢٢، ١٢٣؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ص ١٩٦، ١٩٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٥٩.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ص ١٩٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٣٦.

(٥) شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٢٥.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ص ١٩٠؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٤.

(٧) **بَلْدَة:** مدينة من مدن ساحل بحر الشام، قريبة من جبلة، من فتوح عبادة بن الصامت؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٣.

على قضاء دمشق والأردن وصلاتهما، وولى عبادة بن الصامت قضاء حمص وقِنَّسرين وصلاتهما[١].

كما أرسل عمار بن ياسر (ت ٣٧هـ) - وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة - جيشًا تحت إمرة سعد بن عمرو بن حرام الخزرجي لفتح ما فوق الأَنْبَار، ففتح المنطقة سلمًا بعد أن طلب أهلها الأمان فأمنهم[٢]؛ أما عبد الرحمن بن سهل بن زيد الخزرجي الحارثي، فقد استعمله عمر بن الخطاب على البصرة بعد موت عتبة بن غَزْوان[٣].

وقد كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب؛ ففي موقعة الجسر استشهد الكثير من الخزرجيين، منهم: قيس بن السكن النجاري، شهد بدرًا، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ[٤]؛ كما قتل عقبة وعبد الله وعباد، وهم أبناء قيظي بن قيس الخزرجي، من بني لوذان[٥].

وهذا البراء بن مالك بن النضر الأنصاري (ت ٢٠هـ) أخو أنس بن مالك، أحد الفضلاء ومن الأبطال الأشداء، قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك فيه، وقد كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقواده ألا تستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين؛ فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم[٦]، وقد قال رسول الله ﷺ: "كم ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك"[٧]، فلما كان يوم تُسْتَر من بلاد فارس أوجع المشركون في المسلمين، وكان البراء قائدًا على ميمنة الجيش[٨]، فقالوا له: يا براء، أقسم على ربك فقال: "أقسمت عليك يا رب

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٠، ١٨٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٤٠.
(٢) البلاذري: المصدر السابق، ص ٢٤٦.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٣٢.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٨؛ البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٥٢.
(٥) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص ١٥٤.
(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٩٨؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٤٨.
(٧) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٩٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٤.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ص ٥٣٥.

إلا منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبي الله ﷺ"، فمنحُوا أكتافهم وقتل البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيدًا سنة عشرين في قول الواقدي، وقيل: سنة تسع عشرة[١]، وكان قرظة بن كعب الأنصاري الحارثي على خيالة المسلمين في تُسْتَر، كما اشترك البراء بن عازب الحارثي الخزرجي[٢] في هذه الموقعة، وله دور فيها[٣].

كما شهد سماك بن خرشة الأنصاري الخزرجي - وليس بأبي دجانة - وقعة القادسية[٤]، ثم اشترك في فتح همدان، وكان له دور فيها، كما ذكر في فتوح الري[٥]، ثم بعثه والي الري على رأس مدد إلى بكير بن عبد الله الزهري، قائد جيش المسلمين في فتح أذربيجان، وبعد أن جمع عمر أذربيجان لعتبة بن فرقد، أقر عتبة سماك بن خرشة على جزء من أذربيجان[٦].

***

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٣٦٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٤٨.

(٢) هو البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، الحارثي الخزرجي؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٩٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٣٥.

(٤) ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.

(٥) **الري:** بفتح أوله وتشديد ثانيه، وهي قريبة من قزوين وزنجان في بلاد فارس، وهي أقرب إلى خراسان؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ١٩٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٢٩.

٣- قبيلة الخزرج في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أجمع المسلمون الأوائل على الانقياد لأبي بكر وعمر، واستطاع متكلمو أهل السنة إثبات صحة إمامتيهما، وانعقد الإجماع على ذلك، بيد أن كلًّا منهما تولى الخلافة بطريقة مغايرة للآخر؛ فبينما تم اختيار الصاحب الأول بطريقة الانتخاب، تولاها الخليفة الثاني بواسطة العهد.

أما الخليفة الثالث فقد تولاها عن طريق الانتخاب والتعيين معًا، وذلك أنه لما طُعن عمر بن الخطاب قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت، فقال: "لو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته، ولكن عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ إنهم من أهل الجنة، وصير الأمر إلى عليّ وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عُبيد الله؛ ليختاروا منهم رجلًا"(١)، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري الخزرجي - زيد بن سهل - فقال له: قم على بابهم أنت وخمسون من الأنصار، فلا تدع أحدًا يدخل إليهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار، أن يحسن إلى محسنهم، ويعفو عن مسيئهم(٢)، فتم اختيار عثمان بن عفان لتولي أمور الخلافة.

وقد علق عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هذا الاختيار قائلًا: "إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر إلى بيتها، فتقول إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدًا، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم"(٣).

ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن، ويقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك، فأفزعه ذلك وقدم على عثمان، فقال: "أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٨٤.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٦١.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٣.

اختلاف اليهود والنَّصارى"، فأرسل عثمان إلى حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها، وشكل لجنة لكتابة مجموعة من المصاحف، وكان أهم أعضائها "زيد بن ثابت الخزرجي". وقال عثمان للرهط القرشيين: "إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"(١)، فهذا المصحف على قراءة زيد، ثم وزعت نسخ هذه المصاحف على الأمصار فَوُئدت الفتنة(٢).

ولقد سارت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان على ما كانت عليه من انتصارات في عهد عمر، وكان للخليفة الثالث الفضل في إنشاء أول أسطول إسلامي، استطاع أن يسيطر على النصف الشرقي لبحر الروم، وهو الأمر الذي كان عمر يرفضه ويقف ضده؛ لخوفه على المسلمين من ركوب البحر(٣).

وكانت أولى الفتوحات البحرية سيطرة المسلمين على قبرص، وذهب بعض المؤرخين إلى أن ذلك كان سنة سبع وعشرين للهجرة، وذهب آخرون إلى أن ذلك كان سنة ثلاث وثلاثين(٤)، ولقد وافق عثمان على هذه الحملة، قائلًا لمعاوية: "لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأعِنْه"(٥).

وكان "عبادة بن الصامت الخزرجي" ممن غزا قبرص، ومعه امرأته أم حرام بنت مِلحان الخزرجية النجارية، التي عثرت بها دابتها فقتلتها ودفنت في قبرص(٦)، واشترك بها أيضًا أبو أيوب الأنصاري النجاري، وأبو الدرداء عويمر بن عامر الحارثي، وشداد بن

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٢٦٦؛ شمس الدين أبو الخير محمد ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، بيروت، لبنان، (ب – ت)، ج١، ص ٧.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٥، ص ٣١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٩؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ١٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٥٨.

(٤) نفسه.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨٩.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٨، ٢٠٩، وقبرها الآن قائم بقبرص التركية.

أوس بن ثابت أحد بني مَغَالَة، وهو ابن أخي حسان بن ثابت، كما كان في هذه المعركة من الأوس فضالة بن عبيد، وعُمير بن سعد(١).

وكان البراء بن عازب الخزرجي الحارثي قد افتتح الرّيَّ سنة أربع وعشرين صلحًا(٢)، ثم ولَّى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البراء على الرّيِّ فغزا أبهر(٣) وفتحها، ثم قزوين(٤) وملكها، ثم انتقل إلى زنجان فافتتحها عنوة(٥) - وكلها من أراضي وسط آسيا - ولم تزل الريُّ تنتفض وتفتح، حتى كان آخر من فتحها قَرظة بن كعب الخزرجي الحارثي، في عهد عثمان بن عفان(٦).

فتنة قتل عثمان:

انتهى عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي كان في خلافته شديدًا على نفسه، شديدًا على عُمَّاله، شديدًا على قريش؛ فلما قتل تفرق القرشيون في الأمصار، وكان عمر يمنعهم من الخروج، فلمَّا ولي عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمح لهم بالخروج والتفرق في الأمصار، وفي آخر عهده وقعت الفتنة، التي يحللها الإمام الأشعري قائلًا: "وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالًا كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه اختلافًا إلى اليوم، ثم قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانوا في قتله مختلفين؛ فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصيبا في أفعاله؛ قتله قاتلوه ظلمًا وعدوانًا، وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا الاختلاف واقع بين الناس إلى اليوم"(٧).

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٠.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٠٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٣٦٢.

(٣) **أبهر:** موضع مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٨٢.

(٤) **قزوين:** مدينة مشهورة، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا؛ نفسه، ج٤، ص ٣٤٢.

(٥) نفسه، ج١، ص ٨٣؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٥٦٠.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ص ٤٤٦.

(٧) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٤٩.

على أن أبرز ظاهرة يقابلها الباحث في خلافة عثمان، هي هذا العدد الكبير من الأخطاء التي نسبت إليه؛ للنيل منه والطعن في إمامته، ويظهر القصد المتعمد في الطعن عليه عند الكثيرين، على غير أساس إلا العناد، فَعُدَّ جمع الأمصار على قراءة القرآن بلغة قريش مطعنًا، وعُدَّ تخلف عثمان عن بيعة الرضوان مطعنًا آخر، واعتُبر أمر الرسول ﷺ له بعدم حضور غزوة بدر عيبًا، على الرغم من أن رسول الله ﷺ ضرب له بسهم في الغزوة.

ولقد انقسم الصحابة الخزرجيون في فتنة عثمان كما انقسم المسلمون، فأكثرهم اعتزل الفتنة ورفض الاشتراك فيها بتأييد أحد الطرفين، في حين أن بعضهم وقف ضد عثمان، ومن هؤلاء: رفاعة بن رافع الزرقي، وكان أشد الناس على عثمان من الخزرج[١]، ومنهم: عمرو بن حزم الأنصاري[٢]، وجبلة بن عمرو الساعدي[٣]، الذي كان أول من اجترأ بالمنطق على عثمان عندما مر به عثمان فسلم فرد القوم، فقال جبلة: "لم تردون على رجل فعل كذا وكذا، وعدد مثالب اعتقدها في عثمان"[٤].

وهناك فريق آخر كان يقف إلى جوار عثمان ويدافع عنه، وقال الواقدي: "لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وأصحاب

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٢٤.

(٢) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي، من بني مالك بن النجار، شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران، وكتب له عهدًا مطولًا، فيه توجيه وتشريع (ت ٥٣ هـ)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٩١؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٧٦.

(٣) جبلة بن عمرو بن أوس بن عامر بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، شهد أحدًا، وروى ابن شبة في أخبار المدينة أنهم لما أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع، فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو الساعدي، فانطلقوا إلى حش كوكب ومعهم معبد بن معمر فدفنوه فيه؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٣٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٣٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٨.

رسول الله ﷺ يرون ويسمعون، ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نُفَير، منهم: زيد بن ثابت[١]، وأبو أسيد الساعدي[٢]، وكعب بن مالك[٣] الشاعر، وحسان بن ثابت"[٤].

ولقد توافد على المدينة من ثاروا على عثمان، فجاء إليها أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة، ونزلوا في ذي خُشُب على مقربة من المدينة، واستطاع علي بن أبي طالب أن يكتب بين الثوار وعثمان كتابًا، على أن يردَّ كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، على أن يتم هذا الأمر في ثلاث، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يُغَيِّر عثمان شيئًا مما كرهوه، ولم يعزل عاملًا ثار به الناس، خرج عمرو بن حزم الأنصاريّ الخزرجي حتى أتى المصريين وهم بذي خُشُب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة[٥]، وتم منع عثمان من الصلاة بالناس في المسجد، فدعا عليّ بن أبي طالب خالد بن زيد ليصلي بالناس، وكان هذا أول يوم عرف الناس أن اسم أبي أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد[٦].

وهاجم الثوار دار عثمان، فدافع عنه مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وغيرهم، فحمل رفاعة بن رافع الزُّرقي على مروان بن الحكم فضربه فصرعه، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان، ثم نادى الناس فأقبلوا عليه، وتسوروا منزل عثمان،

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار، الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفرضيين، مفتي المدينة، كاتب الوحي، حدث عن النبي ﷺ وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمة، (ت ٤٥هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٢) أبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بن البدن، من كبراء الأنصار، شهد بدرًا، والمشاهد كلها، وكانت معه راية بني ساعدة يوم الفتح (ت ٦٠هـ)؛ نفسه، ج٢، ص ٥٣٨.

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي، العقبي، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم؛ نفسه، ج٢، ص ٥٢٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٣٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٦٢.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٧٠، ٣٧١.

(٦) نفسه، ج٤، ص ٤٢٣.

فقاتلوا من في جوف الدار حتى هزموهم، وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه[١].

هذا، وقد أكدت المصادر على أنه قتل في ذي الحجة، واختلفوا في سنة وفاته، فذهب بعضهم إلى أن ذلك كان سنة خمسة وثلاثين، وذهب آخرون إلى أنه كان سنة ستة وثلاثين من الهجرة[٢]، ولمَّا أراد الصحابة مواراة عثمان بالبقيع منعهم جبلة بن عمرو الساعدي، وأسلم بن أوس بن بجرة الخزرجي الساعدي[٣]، فدفن عثمان بأرض يقال لها (حُشّ كَوكَب) [٤]، كان عثمان قد اشتراها فزادها في البقيع[٥]، وكان أول من دُفِنَ هناك[٦].

وقد وقف إلى جانب عثمان عدد من الخزرجيين، كان أهمهم زيد بن ثابت، وكان على بيت المال في خلافة عثمان[٧]، وكان عثمان يستخلفة إذا حج، وقد ورد عن ابن عبد البر أنه قال: "كان عثمان يحب زيدًا، وكان زيد عثمانيًّا"[٨]، فجاء إلى عثمان فقال: "هذه الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصارًا لله مرتين"، فقال عثمان: "أما القتال فلا"[٩].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ١٩٧؛ الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٦٨، ٦٩.

(٣) أسلم ابن بجرة بن الحارث بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الخزرجي؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٢١٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣٦.

(٤) **الحُشّ:** البستان في اللغة، ويقرأ بفتح أوله أو بضمه، وجمعها حُشَّان، وكوكب: رجل من الأنصار، وهي موضع بجوار البقيع؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٢.

(٥) ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٦) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٧٣.

(٧) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ١٥٤.

(٨) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٢٢.

(٩) ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦.

وكان كعب بن مالك الخزرجي من أصحاب عثمان، وحرض الأنصار على نصرته[١]، وكان عثمان قد استعمله على صدقات مزينة، وترك له ما أخذ منهم، ولما قتل عثمان، قعد عن نصرة عليّ، فلم يشهد حروبه[٢].

وليس أدل على وجود المؤيدين لعثمان من قول الطبري وابن الأثير في بيعة علي بالخلافة: "وبايعت الأنصار عليًّا إلا نفيرًا يسيرًا، منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد[٣]، وأبو سعيد الخدري[٤]، والنعمان بن بشير[٥]، وزيد بن ثابت، وهؤلاء من الخزرج، ومحمد بن مسلمة[٦]، ورافع بن خديج[٧]، وفضالة بن عبيد[٨]، من الأوس، وكعب بن عجرة[١] حليف الخزرج، وكانوا عثمانية"، أما النعمان بن بشير فإنه

(١) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٢٢٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٨٢.

(٣) مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج، كان من أمراء معاوية نوبة صفين، ثم ولاه إمارة مصر سنة (٤٧ هـ)، ثم أضاف إليها المغرب، ثم تولى ليزيد إمرة مصر، وتوفي سنة (٦٢هـ)؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٢٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٢٤، ٤٢٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج٦، ص ٩٧، ٩٨؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص ٢٢٤.

(٤) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، والأبجر هو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة، وروى عنه علمًا جمًّا، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، وتوفي سنة (٧٤هـ)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٦١، ٣٦٢؛ الذهبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٨.

(٥) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، ابن أخت عبد الله بن رواحة، وكان من أمراء معاوية على الكوفة مدة، ثم ولي قضاء دمشق، ثم ولي إمرة حمص، وتوفي سنة (٦٤هـ)، وقيل سنة (٦٥هـ)؛ الذهبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤١١، ٤١٢؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٤٠.

(٦) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الحارثي، توفي سنة (٦٣هـ)، وقيل سنة (٤٦هـ)؛ الذهبي، المصدر السابق، ج١٣، ص ٣٩٥.

(٧) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي الحارثي، صحابي، كان عريف قومه بالمدينة، وشهد أحدًا والخندق، وتوفي (٧٤هـ)؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢.

(٨) فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ولي الغزو لمعاوية، ثم ولي له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب، شهد فتح مصر، وولي بها القضاء والبحر لمعاوية؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣.

بن بشير فإنه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قطعت، وقميص عثمان الذي قتل فيه، وهرب به، فلحق بالشام، فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع، فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظًا، وجدوا في أمرهم للأخذ بثأر عثمان(٢).

وكان عُمَّال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الخزرج عند موته: سِمَّاك بن خَرَشَة الأنصاري على خراج السَّوَاد، وزيد بن ثابت على قضاء المدينة(٣).

وقد تتابعت قصائد الرثاء في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أهم من رثاه الشاعران الخزرجيان كعب بن مالك وحسان بن ثابت(٤)، وقد رثى كعب بن مالك عثمان بأربعة وسبعين بيتًا(٥)، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب ثلاث قصائد طوال من رثاء كعب للخليفة عثمان، صور فيها مأساة يوم الدار، وأنحى باللائمة على الأنصار، وأنَّبهم لخذلانهم خليفة رسول الله ﷺ، ووقف على مجلس الأنصار في مسجد رسول الله فأنشدهم:

مَنْ مُبْلِغُ الأنصارِ عنِّيَ آيةً ... رُسُلاً تَقُصُّ عليهمُ التِّبيانا
أَن قد فَعَلْتم فَعْلة مذكورة ... كَستِ الفُضُوح وأبدَتِ الشنَّآنا
بقعودكم في دوركم وأميركم ... تُخْشَى ضواحي دارِه النيرانا
يا لَهْفَ نفسي إذ يقول ألا أَرَى ... نَفَرًا من الأنصار لي أعوانا(٦)

(١) كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي، شهد المشاهد كلها، وفيه نزلت الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، وسكن الكوفة، وتوفي بالمدينة سنة (٥١هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٥٢، ٥٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٢٢٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٢٩، ٤٣٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٨٢؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٦٠٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٣٩؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٠٢.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٢٤.

(٥) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، بغداد، العراق، ط١، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م، ص ١١٧.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص ٢٧؛ سامي مكي العاني، ديوان كعب بن مالك، ص ١١٩.

كما أن هناك قصيدة أخرى وردت عن الشعبي، قال: لما قتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رثاه كعب بن مالك الأنصاري، فقال:

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَسْلَمُوا بَعْدَ عِزِّهِمْ ... إِمَامَهُمْ لِلْمُنْكَرَاتِ وَلِلْغَدْرِ
فَلَوْ أَنَّهُمْ سَلِمُوا مِنَ الضَّيْمِ خُطَّةً ... لَجَادَهُمْ عُثْمَانُ بِالْيَدِ وَالنَّصْرِ
وَلَا كَانَ نَكَّاثًا لِعَهْدِ مُحَمَّدٍ ... وَلَا تَارِكًا لِلْحَقِّ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ[١]

كما رثى حسان بن ثابت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصائده، وقد أورد الطبري أحد عشر بيتًا من قصيدتين له في رثائه، وأورد ابن الأثير ثمانية عشر بيتًا من قصائد حسان في رثاء عثمان[٢]، وقد ذَمَّ حسان من قتل عثمان، ومدح عثمان وذكر مآثره، ومن ذلك:

أَتَرَكْتُمُ غَزْوَ الدُّروبِ وَجِئْتُمُ ... لِقِتَالِ قَوْمٍ عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدِ
فَلَبِئْسَ هَدْيُ الصَّالِحِينَ هَدَيْتُمُ ... وَلَبِئْسَ فِعْلُ الْجَاهِلِ الْمُتَعَمِّدِ
وَكَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةً ... بُدْنٌ تُنَحَّرُ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ[٣]

٤- قبيلة الخزرج في عهد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بايع صحابة رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، وكان مؤيدو عليّ من الأنصار كُثر، فبعد أن تمت البيعة كان أول من تكلم "ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي"، وكان خطيب الأنصار، فأشاد بعليّ وباختيار المسلمين له، فقال: "أنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك"، ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي، وهو ذو الشهادتين، فأيد اختيار المسلمين لعليّ[٤]، وهكذا كان هناك إجماع أوسي خزرجي على تأييده للخلافة،

(١) أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي: المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج٣، ص ٢٧. سامي مكي العاني: المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٢٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٧٦، ٧٧.

(٣) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ١٠١، ١٠٢؛ عبدأ علي مهنا: ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٦٨.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

وبايع الناس عليًّا بالمدينة، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوا، منهم: زيد بن ثابت، وبصفة عامة "لم يبق أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم"(١).

ولما دخلت سنة ست وثلاثين للهجرة فرَّقَ عليٌّ عماله على الأمصار، وكانوا خمسة، منهم ثلاثة من الأنصار، وهم: عثمان بن حنيف الأوسي، وكان على البصرة، وأخوه سهل بن حنيف، وكان على الشام، وقيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، وكان على مصر(٢).

وهكذا تدارك الخليفة الجديد ما نقمته بعض الأنصار على سياسة عثمان؛ فقد حرموا من تولي الولايات بعد أن وُعِدوا يوم السقيفة بأن يكونوا شركاء في الحكم، ولم ينس الأنصار ما كان لهم من الفضل في وصول قريش إلى السلطة، فإذا بهم يستبعدون من الوظائف الكبرى التي استأثرت بها قريش عامة، والأمويون خاصة بعد ذلك(٣).

قيس بن سعد بن عبادة واليًا على مصر:

أرسل عليٌّ قيس بن سعد واليًا على مصر، فخرج قيس في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل ولايته، فصعد المنبر، وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرئ على أهل مصر، وقام الناس فبايعوا، فضبط قيس مصر واستقامت له، وبعث عليها عُمَّاله، إلا قرية يقال لها (خِرْبِتَا(٤)) فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان، فهادنهم، وأدر عليهم أرزاقهم، وكف عنهم، وأحسن جوارهم، وجبى خراج مصر لا ينازعه أحد(٥).

وكان مسلمة بن مخلد الخزرجي الساعدي ممن أظهر الطلب بدم عثمان، واعتزل بخِرْبِتَا، فأرسل إليه قيس: "ويحك! أعليَّ تثب؟! والله ما أحب أن لي ملك الشام ومصر وأني قتلتك! فاحقن دمك"، فأرسل إليه مسلمة: "إني كاف عنك ما دمت أنت والي

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٣١.

(٢) نفسه، ج٤، ص ٤٤٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٩٢.

(٣) فاطمة جمعة: الاتجاهات الحزبية في الإسلام منذ عهد الرسول حتى عصر بني أمية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ١١٣.

(٤) **خِرْبِتَا:** من قرى الحوف الغربي في مصر، بالقرب من الإسكندرية؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٥.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٧٣.

مصر"[١]؛ وهنا يظهر واضحًا ذلك النموذج لغلبة الرابطة القبلية على الخصومة السياسية[٢]، فكلاهما كان من بني ساعدة.

وكان عمرو بن العاص ومعاوية قد شَقَّ عليهما وعلى أهل الشام، أن قيس بن سعد قد منع حمل الطعام إلى الشام، كما أن سيطرته على مصر جعلته شوكة في ظهرهما[٣]؛ فبدأ معاوية في إرسال الرسائل إلى قيس يستميله، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تم له الأمر[٤]، فلما لم يجد منه استجابة، كاد له من ناحية عليّ، وذلك أنه قال لأهل الشام: "لا تسبوا قيس بن سعد، ولا تدعوا إلى غزوه؛ فإنه لنا شيعة"، وافتعل كتابًا نسبه إليه، يطالب فيه بدم عثمان، فبلغ ذلك عليًّا، فقال: "إن قيسًا في سَرٍّ[٥] وشرف في جاهلية وإسلام، وقيس رجل العرب"[٦]، ولكن كثرة من كلم الخليفة بشأنه أدى إلى قيام عليّ بعزله[٧]، وكانت مدة قيس إلى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام، وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين[٨]، وخرج قيس من مصر وهو غضبان لعزله، متوجهًا إلى مدينة الرسول ﷺ، وبعد أن استقر قيس بالمدينة جاءه حسان بن ثابت، وكان عثمانيًّا، فقال له: "قتلت عثمان ونزعك عليّ، فبقي عليك الإثم"، فتلاحيا[٩].

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص٣٧٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٥٣.

(٢) عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م، ص ٢٩٤.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٧٣.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٦٤.

(٥) **فلانٌ في سَرِّ قومه:** أي في أفضلهم؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٢، ص ٧.

(٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٧٣.

(٧) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، ص ١٥٦؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٧٣؛ أبو عمر محمد بن يوسف الكندي: كتاب الولاة والقضاة، مطبعة اليسوعيين، بيروت، لبنان، ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م، ص ٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٥٣.

(٨) أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٩) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٦.

ولقد استقر قيس بالمدينة حتى أخافه مروان بن الحكم على نفسه، فخرج منها هو وسهل بن حنيف الأوسي، فشهدا مع عليّ موقعة صفين، فكتب معاوية إلى مروان يتغيظ عليه، ويقول له: "لو أمددت عليًّا بمائة ألف مقاتل، لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه"(١)، وبعد أن استقر قيس بالكوفة عينه عليّ على أذربيجان وأسند إليه خراجها(٢)؛ كما ولَّى أبا قتادة الأنصاري مكة، ثم عزله(٣).

موقعة الجمل ٣٦هـ:

بدأت خلافة عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمواجهة الفتن والمؤامرات التي سرت في جسد الأمة الإسلامية في عهده، فبعد أن بويع بالخلافة خرج عليه طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأيدتهم السيدة عائشة زوج الرسول ﷺ، فقال أبو قتادة الخزرجي الأنصاري – من بني سَلِمَة – لعليّ: "يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ، قلدني هذا السيف وقد أغمدته زمانًا، وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين، الذين لا يألون الأُمَّة غشًّا، وقد أحببت أن تُقَدِّمني"(٤).

وخرج عليّ إلى الكوفة بالعراق بعد أن استخلف على المدينة أبا أيوب الأنصاري(٥)، وكان أشد الأنصار على معاوية؛ لموقفه من الإمام عليّ(٦). وعندما سار عليّ إلى الجمل جعل "قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي" واليًا على الكوفة(٧)، فلمَّا خرج إلى صفين أخذه معه، وجعل على الكوفة أبا مسعود البدري – عقبة بن عمرو – الخزرجي(٨).

---

(١) محمد بن شهاب الزهري، مصدر سابق، ص ١٥٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٥٥، ١٥٦.
(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٣٨.
(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠١.
(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٥.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٠٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص ٩٠.
(٦) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١٧٨.
(٧) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٠٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٦.
(٨) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج١، ص ٤١٠؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٤، ص ٣٦١؛ خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ١٨٢؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن مهران الأصبهاني: =

وكان مع عليّ يوم الجمل (٣٦هـ) أربعة آلاف من أهل المدينة، منهم ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان[١]، وكان من جملة من اشترك فيها من الخزرج: البراء بن عازب، وأخوه عبيدة[٢]، والحارث بن غزية، وهو القائل يوم الجمل: "يا معشر الأنصار، انصروا أمير المؤمنين آخرًا كما نصرتم رسول الله ﷺ أولًا، والله إن الآخرة تشبه الأولى، إلا أن الأولى أفضلهما"[٣].

وشهد رفاعة بن رافع الزُّرقي الجمل مع علي[٤]، كما كان فروة بن عمرو الأنصاري البياضي من أصحاب عليّ يوم الجمل، وأنشد له شعرًا[٥]، وبعد انتصار عليّ في وقعة الجمل جعل أبا أيُّوب الأنصاري أميرًا على مدينة البصرة[٦].

وقعة صفِّين ٣٧هـ:

بدأت وقعة صفِّين يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين[٧]، وكان الأنصار هم أكثر من قاتل مع عليّ من أهل المدينة[٨]، وقد قاتل معه سبعة وثمانون رجلًا من أصحاب بدر، منهم سبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع بيعة الرضوان تسعمائة نفس[٩].

= معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م، ج٤، ص ٢١٤٨؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٦٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤، ص ٣٨٠.

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٤.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٤٧.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٨١.

(٤) نفسه، ج١، ص ٢٩٨.

(٥) ابن حجر، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٧.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٠٤.

(٧) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ١٩١.

(٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٧٧.

(٩) أبو الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م، ج٢، ص ٢٠٦.

أما معاوية فقد كان معه من الأنصار: النعمان بن بشير بن سعد، وكان أول مولود للأنصار بعد الهجرة، وجعله معاوية قائدًا لألف من جند الشام[١]، ومسلمة بن مخلد بن الصامت الساعدي[٢]، وكان من أمراء معاوية نوبة صفين[٣]، ثم لحق النعمان بن العجلان الزرقي بمعاوية، وكان عليّ قد ولّاه البحرين، فجعل يعطي من جاءه من الشعراء لمدحه، فبلغ ذلك عليٌّ، فكتب إليه: "أما بعد، إنك من عشيرة ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك، وراجع"، فلما جاءه كتاب عليّ، وعلم أنه قد علم، حمل المال ولحق بمعاوية[٤].

ويعلق قيس بن سعد على من تبع معاوية من الأنصار، مخاطبًا النعمان بن بشير في كتابه قائلًا: "وانظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقًا أعرابيًّا أو يمانيًّا مستدرجًا، وانظر أين المهاجرون والأنصار، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك، ولستما والله بدريين ولا عقبيين، ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن"[٥].

وأرسل عليّ إلى قيس بن سعد يستدعيه – وكان على أذربيجان[٦] – حتى يحضر صفين، فكان قيس قائدًا على رَجَّالة البصرة[٧]، وكانت المعركة أيام، فخرج قيس قائدًا لجيش عليّ في اليوم السادس منها[٨].

وكان ممن شهد صفين مع عليّ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري[٩]، والبراء بن عازب

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٤٤.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢١٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٢٤.

(٤) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٢٤؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج٢، ص ٤٦١؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٤٣.

(٥) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١٨٠.

(٦) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، ص ١٥٧؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٨.

(٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٦؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٦٢٩.

(٨) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٦.

(٩) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن المَرْزُبان البغوي: معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين، مكتبة دار البيان، الكويت، ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٢١٨.

ابن الحارث، وأخوه عبيد بن عازب[١]، ورفاعة بن رافع الزُّرقي[٢]، وقيس بن سعد بن عبادة الساعدي[٣]، وزيد بن أرقم الخزرجي - وهو معدود في خاصة أصحاب عليّ[٤] - وجبلة بن عمرو الخزرجي[٥]، ومسعود بن أوس النجاري[٦]. وانتهت صفين برضى جزء من جيش عليّ بالتحكيم، وخروج الجزء الآخر على عليّ، معلنًا رفض التحكيم، وسُمُّوا بالخوارج.

وكان من قتلى الخزرج يوم صفين: سعد بن الحارث النجاري، وثابت بن عبيد الأنصاري[٧]، وسعد بن الحارث بن الصمة[٨].

قتال الخوارج ٣٧هـ:

تجمع الخوارج في النهروان، فلحق بهم عليّ، وعبَّأ أصحابه، وجعل على قيادة الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجَّالة أبا قتادة الخزرجي، وجعل قيس بن سعد على ميمنة جيشه[٩]، وولاه عليٌّ على من بالجيش من أهل المدينة، وكانوا سبعمائة أو ثمانمائة[١٠]، وانتهت الموقعة بانتصار جيش عليّ، وسرعان ما قام عبد الرحمن بن ملجم الخارجي بقتله، وكانت ولاية عليّ أربع سنين وتسعة أشهر وبضعة أيام[١١].

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٣٦٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٢٩٨.

(٣) نفسه، ج٢، ص ١٥٩.

(٤) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٣، ص ٥٦.

(٥) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٥.

(٦) ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٦، ص ٨٩.

(٧) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٨.

(٨) نفسه، ج١، ص ٣٥٠.

(٩) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٩٧.

(١٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٢١؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٦٤٠.

(١١) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ١٩٩.

خلافة الحسن بن عليّ:

استخلف أهل العراق الحسن بن عليّ خليفة على المسلمين، وبويع له سنة أربعين للهجرة، وكان أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة[١]، وأقام الحسن بن عليّ بعد أبيه شهرين، وقيل أربعة أشهر، ثم وجه قيس بن سعد في اثني عشر ألفًا لقتال معاوية، فوجه معاوية إلى قيس يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه، أو ينصرف عنه، فرفض قيس وأقام على محاربته[٢]، وفاجأ الحسن الجميع، وأرسل لمعاوية؛ يطلب أن يسالمه ويبايعه بالخلافة، ويجمع شمل المسلمين، على أن يكون الأمر شورى بعد معاوية بين المسلمين. وكانت ولاية الحسن بن عليّ سبعة أشهر وسبعة أيام، على ما قال ابن خياط[٣].

وامتنع قيس بن سعد عن مبايعة معاوية، وأبى أن يدخل في بيعته، وقال لأصحابه: "إن شئتم جالدت بكم أبدًا حتى يموت الأعجل، وإن شئتم أخذت لكم أمانا"، فقالوا: خذ لنا، فأخذ لهم أمانًا، أن لهم كذا وكذا، ولا يعاقبون بشيء، وأنا رجل منهم، وأبى أن يأخذ لنفسه خاصة شيئًا، فلما وافق معاوية ارتحل قيس نحو المدينة واستقر بها[٤].

وهكذا، فقد كان عصر الخلفاء الراشدين هو العصر الذي ارتفعت فيه مكانة قبيلة الخزرج، بعد أن اختار منها الراشدون من تولى مناصب ذات أهمية في الدولة الإسلامية؛ ما بين قائد للجيوش، أو من يجمع الصدقات والزكاة، أو من تولى القضاء، كما كان منهم من له دور في الحركة العلمية داخل المدينة؛ كزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وعويمر أبي الدرداء، وأُبَي بن كعب النجاريّ.

***

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٦٧.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٣.

(٤) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، ص ١٥٧؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٧١.